

مجلة

كثيرا للدراسات الإسلامية والأصولية

إسلامية فكرية ثقافية محكمة



العدد
السادس عشر
١٤١٩ هـ
١٩٩٨ م

ترتيب نزول القرآن

أ. د. محمد علي الحسن

أستاذ التفسير وعلوم القرآن
كلية الدراسات الإسلامية والعربية - دبي

إن الحديث عن نزول القرآن متعدد الجوانب والانحاء. وقد استهل المؤلفون - القدامى والمحدثون - الحديث عنه في مؤلفاتهم في علوم القرآن لأن العلم بنزول القرآن متقدم على سائر العلوم الأخرى. وهو سابق بالضرورة سبق أصالة ووجود على حد تعبير أحد العلماء، لذا جعله السيوطي في مقدمة الأبحاث والأنواع، وقد حذا حذوه الشيخ الزرقاني في مناهله، وغزلان في بيانها، وأبو شهبه في مدخله، وتعددت جوانب هذا النزول. ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة. أسباب النزول. كيفية النزول. نزوله على سبعة أحرف. ترتيب النزول، وغير ذلك من مستلزمات النزول زماناً ومكاناً وأحوالاً.. وقد قامت نظريات في كل جانب، ولكن بقي الحديث صعباً على الترتيب الزمني للنزول، فمنذ عهد عثمان بن عفان وهذا الموضوع موضع أخذ ورد، فقد ساق السيوطي رواية عن علي بن أبي طالب أنه رتب مصحفه حسب النزول، فقام عثمان وأمره بحرقه، وساق رواية أخرى عن التابعين، فقد روى أن محمد بن سيرين سأل عكرمة عن جمع القرآن وترتيب القرآن حسب نزوله، قال « فقلت لعكرمة: ألقوه كما أنزل، الأول فالأول، قال: لو اجتمعت الإنس والجن على أن يؤلفوه ذلك الترتيب ما استطاعوا»^(١).

فالأمر صعب المنال، وقد جزم صاحب الظلال بتعذر ذلك فقال «إن الترتيب الزمني للنزول لا يمكن القطع فيه بشيء، ولا يكاد الإنسان يجد فيه شيئاً مستيقناً إلا في آيات معدودات تتوافر بشأنها الروايات»^(٢).

أو على حد تعبير أحد المؤلفين^(٣)، فدون ذلك خراط القتاد.

ويمضي صاحب الظلال قائلاً «وعلى كل ما في محاولة تتبع آيات القرآن وسوره وفق الترتيب

(٣) هو الأستاذ إبراهيم خليفة رئيس قسم التفسير في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر.

(١) التتقان ج ١ / ٢٠٤.
(٢) في ظلال القرآن سورة الأنفال ص ١٤٢٩ ط الشروق جدة.

الزماني للنزول من قيمة. ومن مساعدة على تصور منهج الحركة الإسلامية ومراحلها وخطواتها، فإن قلة اليقين في هذا الترتيب تجعل الأمر شاقاً، كما أنها تجعل النتائج التي توصل إليها تقريبية ظنية، وليست نهائية يقينية... وقد تترتب على هذه النتائج الظنية التقريبية نتائج أخرى خطيرة، ثم قال ان ترتيب القرآن وفق النزول لا سبيل اليوم فيه إلى يقين»^(١)

وقد قام الشيخ محمد عزة دروزة بترتيب تفسيره القرآني الموسوم بالتفسير الحديث. ترتيباً زمنياً حسب نزول القرآن، فبدأ بتفسير سورة اقرأ ثم سورة ن والقلم، ثم المزل، ثم المدثر، ثم انتهى من السور المكية، وبدأ بالسور المدنية حتى نهايتها.

وقد أثار تفسيره ثائرة العلماء حتى اضطر إلى استفتاء^(٢) الشيخ عبد الفتاح أبو غدة فأفتى بجواز الأمر، لأن هذا ليس ترتيباً قرآنياً لآيات القرآن بل هو ترتيب تفسيري لآيات القرآن، وقد أحب صاحبه أن يتتبع التفسير القرآني حسب تاريخ النزول والذي يعين كثيراً في فهم الأحداث القرآنية، كما يعين في تتبع المراحل الزمنية للدعوة الإسلامية، وقد سبق للمؤلف أن تتبع سيرة الرسول (ﷺ) من خلال الآيات القرآنية عبر مراحلها الزمنية، وقد أفاد الشهيد سيد قطب من هذه الدراسة وإن لم يسلم الأستاذ دروزة من نقده.

وعلى الرغم من نهج دروزة هذا النهج المتميز في التفسير إلا أنه ينقصه كثير من تحرير بعض المواضع في ترتيبها النزولي، ولم يقف موقف الناقد البصير لهذا الترتيب، وقد غره السيوطي. ومن سبقه. في هذا الترتيب الخاطيء ولم يحسن الفهم للآثار التي ساقوها. ويرى الأستاذ إبراهيم خليفة أن عمل الأستاذ دروزة في هذا الترتيب للتفسير منكر، وهو على غاية الغرابة، وخارج عن حد اللياقة، وكان الأجدر به أن يرتب تفسيره على الترتيب المصحفي الذي عدل به نقلاً وإجماعاً بالكلية عن ترتيب النزول.

وثاني ما دعاني للكتابة هو تسليم كثير من المؤلفين لهذا الترتيب الخاطيء وقد دونوا أخطاءهم في المصاحف، ففي بداية السور تراهم يكتبون ان هذه السورة نزلت بعد سورة كذا، ويعتبرون الآثار المروية قضايا مسلمة وقد يكون الأمر على خلاف ذلك، ولقد راعني ما قرأت من أن سورة محمد قد نزلت قبل الأنفال، ووجدت قولاً مخالفاً وهو أن سورة الأنفال نزلت قبل سورة محمد

(١) المرجع السابق ص ١٤٢٩ و ١٤٣١.

(٢) انظر مقدمة كتاب اتجاهات التفسير في العصر الزاهن د. عبد المجيد المحتسب ط دار البيارق.

ولا شك أن أحد القولين خاطئ، وقد استعرضت الآثار فعرفت مكمّن الخطأ.

كما أن زميلنا رئيس قسم التفسير بجامعة الأزهر قد استدعى انتباهه عند تفسيره لسورة النساء، فوجد من يقول « إن سورة النساء قد نزلت بعد سورة الممتحنة، فقام بدراسة مستوعبة للموضوع وقرر خلاف الدعوى المكتوبة في بداية السور في المصاحف بل مخالفاً لما زعموه في الآثار التي سيأتيك ذكرها بعد.

٣. وثالث ما دعاني للكتابة ما قيل من أن الأستاذ محمد عبد الله دراز قد كتب في هذا الموضوع في مطلع الخمسينات في مجلة الأزهر، وقد تناول جانباً منه على ما أخبرني أحد الثقات، وقد رجعت إلى إدارة الأزهر قسم الفتوى، وحاولت جاهداً الحصول على هذا الموضوع، ولكني لم أجد له أثراً ولا خبراً، فأستعنت بالله راجياً عونه وتوفيقه.

هذا وقد بدأت البحث بذكر الآثار الواردة في هذا الموضوع، ثم مناقشتها سندا ومنتناً. ثم أقيمت الدليل والبرهان على مخالفة هذه الآثار لما هو أقوى منها مثبتاً عكس دعواها من خلال مناقشة أمثلة صحيحة وواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، ثم خلصت إلى نتائج مهمة في هذا البحث.

الفصل الأول

الآثار الموهمة للترتيب الزمني لنزول السور القرآنية وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الآثار الواردة في ترتيب السور حسب نزولها.

وفيه. ماورد معطوفاً بحرف الواو.

قال ابن سعد في الطبقات: أنبأنا الواقدي، حدثني قدامة بن موسى عن أبي سلمة الحضرمي، سمعت ابن عباس قال: سألت أبي بن كعب عما نزل من القرآن بالمدينة؟ فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة، وسائرهما بمكة.

وقال أبو جعفر النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ: حدثني يموت بن المزروع، حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، أنبأنا أبو عبيدة معمر بن المثنى، حدثنا يونس بن حبيب، سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: سألت مجاهداً عن تلخيص أي القرآن، المدني من المكي فقال:

سألت ابن عباس عن ذلك، فقال: سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة فهي مكية، الا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة: (قل تعالوا اتلوا...) إلى تمام الآيات الثلاث. وما تقدم من السور مدنيات.

ونزلت بمكة سورة الأعراف ويونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحج والنحل. سوى ثلاث آيات من آخرها فانهن نزلت بين مكة والمدينة في منصرفه من أحد. وسورة بني اسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج. سوى ثلاث آيات (هذان خصمان..) إلى تمام الآيات الثلاث، فانهن نزلن بالمدينة. وسورة المؤمنون والفرقان وسورة الشعراء. سوى خمس آيات من آخرها نزلت بالمدينة: (والشعراء يتبعهم الغاؤون...) إلى آخرها.

وسورة النحل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان سوى ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة: (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام...) إلى تمام الآيات. وسورة السجدة، سوى ثلاث آيات: (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) إلى تمام الآيات الثلاث.

وسورة سبأ وفاطر ويس والصفات وص والزمر، سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة في وحشي قاتل حمزة: (قل يا عبادي الذين أسرفوا...) إلى تمام الثلاث آيات والحواميم السبع وق والذاريات والطور والنجم والقمر والرحمن والواقعة والصف والتغابن الا آيات من آخرها نزلت بالمدينة: والملك ون والحاقة وسأل سورة نوح والجن والمزمل إلا آيتين: (ان ربك يعلم أنك تقوم) والمدثر إلى آخر القرآن الا اذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس فانهن مدنيات.

ونزل بالمدينة سورة الأنفال وبراءة والنور والأحزاب وسورة محمد والفتح والحجرات والحديد وما بعدها إلى التحريم.

هكذا أخرجه بطوله، واسناده جيد، رجاله كلهم ثقات من علماء العربية المشهورين. وقال البيهقي في دلائل النبوة: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو محمد بن زياد العدل، حدثنا محمد بن اسحاق، حدثنا يعقوب بن ابراهيم الدورقي حدثنا أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي، حدثنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه، حدثني يزيد النحوي، عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن قالوا: أنزل الله من القرآن بمكة: اقرأ باسم ربك، ون والمزمل، والمدثر، وتبت يدا أبي لهب، وإذا الشمس كورت، وسيح اسم ربك الأعلى، والليل اذا يغشى، والفجر، والضحى، وألم

نشرح، والعصر، والعاديات، والكوثر، والهاكم التكاثر، وأرأيت، وقل يا أيها الكافرون، وأصحاب الفيل، والفلق، وقل أعوذ برب الناس، وقل هو الله أحد، والنجم، وإنا أنزلناه، والشمس وضحاها، والسماء ذات البروج، والتين والزيتون، ولايلاف قريش، والقارعة، ولا أقسم بيوم القيامة، والهمزة، والمرسلات، وق، ولا أقسم بهذا البلد، والسماء والطارق، واقتربت الساعة، وص، والجن، ويس، والفرقان، والملائكة، وطه، والواقعة، طسم، وطس، وطسم، وبني اسرائيل، والتاسعة، وهود، ويوسف، وأصحاب الحجر، والأنعام، والصفاء، ولقمان، وسبأ، والزمر، وحم المؤمن، وحم الدخان، وحم السجدة، وحمعسق، وحم الزخرف، والجاتية، والأحقاف، والذاريات، والغاشية وأصحاب الكهف، والنحل، ونوح، وإبراهيم، والأنبياء، والمؤمنون، وألم السجدة، والطور، وتبارك، والحاقة، وسأل، وعم يتساءلون، والنازعات وإذا السماء انشقت، وإذا السماء انفطرت، والروم، والعنكبوت.

وما نزل بالمدينة: ويل للمطففين، والبقرة، وآل عمران، والأنفال، والأحزاب، والمائدة، والمنتحنة، والنساء، وإذا زلزلت والحديد، ومحمد، والرعد، والرحمن، وهل أتى على الانسان، والطلاق، ولم يكن، والحشر، وإذا جاء نصر الله، والنور. والحج، والمنافقون، والمجادلة، والحجرات، ويأيتها النبي لم تحرم، والصف، والجمعة والتغابن، والفتح وبراءة.

قال البيهقي: والتاسعة، يريد بها سورة يونس. قال: وقد سقط من هذه الرواية: الفاتحة، والأعراف، وكهيعص، فيما نزل بمكة.

قال أبو عبيد في فضائل القرآن:

حدثنا عبد الله بن صالح ومعاوية بن صالح، عن ابن أبي طلحة، قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والحج، والنور، والأحزاب، والذين كفروا، والفتح، والحديد، والمجادلة، والحشر، والمنتحنة، والحواريين. يريد الصف، والتغابن، ويأيتها النبي اذا طلقتم النساء، ويأيتها النبي لم تحرم، والفجر، والليل، وإنا أنزلنا في ليلة القدر، ولم يكن، واذا زلزلت، واذا جاء نصر الله، وسائر ذلك بمكة.

وقال أبو بكر بن الأنباري: حدثنا اسماعيل بن اسحاق القاضي، حدثنا حجاج بن منهال، نبأنا هشام عن قتادة، قال: نزل في المدينة من القرآن: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وبراءة،

والرعد، والنحل، والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والحديد، والرحمن، والمجادلة، والحشر، والملتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، وبآيها النبي لم تحرم، الى رأس العشر، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله، وسائر القرآن بمكة. وقال أبو الحسن بن الحصار في كتابه الناسخ والمنسوخ: المدني باتفاق عشرون سورة، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة، وما عدا ذلك مكي بالاتفاق.

ثم نظم في ذلك أبياتاً من الشعر.

ثم قال رحمه الله في النوع السابع الذي عقده في هذا الكتاب للحديث عن أول ما نزل من القرآن تحت عنوان:

(فرع)

أخرج الواحدي من طريق الحسين بن واقد، قال: سمعت علي بن الحسين يقول: أول سورة نزلت بمكة (اقرأ باسم ربك) وآخر سورة نزلت بها «المؤمنون» ويقال «العنكبوت». وأول سورة نزلت بالمدينة «ويل للمطففين»، وآخر سورة نزلت بها «براءة» وأول سورة أعلنها رسول الله (ﷺ) بمكة «النجم». وفي شرح البخاري لابن حجر: اتفقوا على أن سورة البقرة أول سورة أنزلت بالمدينة. وفي دعوى الاتفاق نظر لقول علي بن الحسين المذكور. وفي تفسير النسفي عن الواقدي: أن أول سورة نزلت بالمدينة سورة «القدر»^(١).

المبحث الثاني: الآثار المفيدة لترتيب نزول سور القرآن على التراخي

وردت هذه الآثار معطوفاً بعضها على بعض بالحرف «ثم» الذي يفيد الترتيب المتراخي. وقال ابن الضريس في فضائل القرآن: حدثنا محمد بن عبد الله ابن أبي جعفر الرازي، أنبأنا عمرو بن هارون، حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: كانت اذا أنزلت فاتحة الكتاب^(٢) بمكة كتبت بمكة، ثم يزيد الله فيها ما شاء، وكان أول ما أنزل من القرآن: اقرأ باسم ربك، ثم ن، ثم يأيها المزمّل، ثم يا أيها المدثر، ثم تبت يدا أبي لهب ثم إذا الشمس

(١) انظر الأتقان في علوم القرآن ص ١٢ - ١٣.

(٢) لا يعني هنا من فاتحة الكتاب السورة المشهورة التي هي أم القرآن وإنما يعني من كلمة فاتحة أول. ومن كلمة الكتاب السورة من إطلاق اسم الجنس على بعض أفرادها. وانظر فضائل القرآن لابن الضريس ص ١٣.

كورت، ثم سبح اسم ربك الأعلى، ثم والليل اذا يغشى، ثم والفجر، ثم والضحى، ثم ألم نشرح، ثم والعصر، ثم والعاديات، ثم إنا أعطيناك، ثم ألهاكم التكاثر، ثم أرأيت الذي يكذب، ثم قل يأيتها الكافرون، ثم ألم تر كيف فعل ربك، ثم قل أعوذ برب الفلق، ثم قل أعوذ برب الناس، ثم قل هو الله أحد، ثم والنجم، ثم عبس، ثم انا أنزلناه في ليلة القدر، ثم والشمس وضحاها، ثم والسماء ذات البروج، ثم والتين، ثم لا يلاف قريش، ثم القارعة، ثم لا أقسم بيوم القيامة، ثم ويل لكل همزة، ثم والمرسلات، ثم ق، ثم لا أقسم بهذا البلد، ثم والسماء والطارق، ثم اقتربت الساعة، ثم ص، ثم الأعراف، ثم قل أوحى، ثم يس، ثم الفرقان، ثم الملائكة، ثم كهيعص، ثم طه، ثم الواقعة، ثم طسم الشعراء، ثم طس، ثم القصص، ثم بني إسرائيل، ثم يونس، ثم هود، ثم يوسف، ثم الحجر، ثم الأنعام، ثم الصافات، ثم لقمان، ثم سبأ، ثم الزمر، ثم حم المؤمن، ثم حم السجدة، ثم حم عسق، ثم حم الزخرف، ثم الدخان، ثم الجاثية، ثم الأحقاف، ثم الذاريات، ثم الغاشية، ثم الكهف، ثم النحل، ثم انا أرسلنا نوحا، ثم سورة ابراهيم، ثم الأنبياء، ثم المؤمنون، ثم تنزيل السجدة، ثم الطور، ثم تبارك الملك، ثم الحاقة، ثم سأل، ثم عم يتساءلون، ثم النازعات، ثم اذا السماء انفطرت، ثم اذا السماء انشقت، ثم الروم، ثم العنكبوت، ثم ويل للمطففين، فهذا أنزل بمكة.

ثم أنزل بالمدينة: سورة البقرة، ثم الأنفال، ثم آل عمران، ثم الأحزاب، ثم الممتحنة، ثم النساء، ثم اذا زلزلت، ثم الحديد، ثم القتال، ثم الرعد، ثم الرحمن، ثم الانسان، ثم الطلاق، ثم لم يكن، ثم الحشر، ثم اذا جاء نصر الله، ثم النور، ثم الحج، ثم المنافقون. ثم المجادلة. ثم الحجرات، ثم التحريم، ثم الجمعة، ثم التغابن، ثم الصف، ثم الفتح، ثم المائدة، ثم براءة^(١).

الأثر الثاني - من الاثار الواردة بافاداة الترتيب النزولي المتراخي بالحرف ثم -

وقال أبو بكر محمد بن الحارث بن أبيض في جزئه المشهور: حدثنا أبو العباس عبيد الله بن محمد بن أعين البغدادي، حدثنا حسان بن ابراهيم الكرمانى، حدثنا أمية الأزدي، عن ابن زيد، قال: أول ما أنزل الله من القرآن بمكة: اقرأ باسم ربك، ثم ن والقلم، ثم يا أيها المزمل، ثم يأيتها المدثر، ثم الفاتحة، ثم تبت يدا أبي لهب، ثم اذا الشمس كورت، ثم سبح اسم ربك الأعلى، ثم والليل اذا يغشى، ثم والفجر، ثم والضحى، ثم ألم نشرح، ثم والعصر، ثم والعاديات، ثم الكوثر، ثم

(١) الإتيان ص ١٤ .

ألهاكم، ثم رأيت الذي يكذب، ثم الكافرون، ثم ألم تر كيف، ثم قل أعوذ برب الفلق، ثم قل أعوذ برب الناس، ثم قل هو الله أحد، ثم والنج، ثم عبس، ثم انا أنزلناه، ثم والشمس وضحاها، ثم البروج، ثم والتين، ثم لايلاف، ثم القارعة، ثم القيامة، ثم ويل لكل همزة، ثم والمرسلات، ثم ق، ثم البلد، ثم اقتربت الساعة، ثم ص، ثم الأعراف، ثم الجن، ثم يس، ثم الفرقان، ثم الملائكة، ثم كهيعص، ثم طه، ثم الواقعة، ثم الشعراء، ثم طس سليمان، ثم طسم القصص، ثم بني اسرائيل، ثم التاسعة يعني يونس، ثم هود، ثم يوسف، ثم الحجر، ثم الأنعام، ثم الصافات، ثم لقمان، ثم سبأ، ثم الزمر، ثم حم المؤمن، ثم حم السجدة، ثم حم الزخرف، ثم حم الدخان، ثم حم الجاثية، ثم حم الأحقاف، ثم الذاريات، ثم الغاشية، ثم الكهف، ثم حم عسق، ثم تنزيل السجدة، ثم الأنبياء، ثم النحل، أربعين وبقيتها بالمدينة، ثم إنا أرسلنا نوحا، ثم الطور، ثم المؤمنون، ثم تبارك، ثم الحاقة، ثم سأل، ثم عم يتساءلون، ثم النازعات ثم اذا السماء انفطرت، ثم اذا السماء انشقت، ثم الروم ثم العنكبوت، ثم ويل للمطففين، فذاك ما أنزل بمكة^(١).

وأنزل بالمدينة: سورة البقرة، ثم آل عمران، ثم الأنفال، ثم الأحزاب، ثم المائدة، ثم الممتحنة، ثم اذا جاء نصر الله، ثم الحج، ثم المنافقون، ثم المجادلة، ثم التحريم، ثم الجمعة، ثم التغابن، ثم سبح الحواريين، ثم الفتح، ثم التوبة، خاتمة القرآن.

قلت: هذا سياق غريب، وفي هذا الترتيب نظر، وجابر بن يزيد من علماء التابعين بالقرآن، وقد اعتمد البرهان الجعبري على هذا الأثر في قصيدته التي سماها: تقريب المأمول في ترتيب النزول:

ليل وفجر والضحي شرح وعصر

العاديات وكوثر الهاكم تلا

أرأيت قل بالفيل مع خلق كذا

ناس وقل هو نجمها عبس جلا

قدر وشمس والبروج وتينها

لايلاف قارعة قيامة أقبلا... الخ.

هذه جميع الآثار التي ساقها السيوطي وقد استوفاهما واستقصاها ولم يفته اثر ولا خبر في

(١) انظر فضائل القرآن ص ٢٢.

